الشِّعرُ والفكرُ الدِّيني في الموروث الهنديّ

كاظم حمد المحراث*

كان المؤرخون الرومان يرون أنَّ الشعر وُلد هجيناً من أبوين هما البلاغة والفلسفة[1]، وكان الفكر التأملي للإنسان قادراً على خلق أساطير العالم القديم ومعتقداته وعلى صنعها، ومهيأً لتناول فكرة الحدّ الفاصل بين الموت والخلود، ومتمكناً من تصور صراع درامي بين ما هو شيطاني في كلّ مكان من الطبيعة. حيث ناصرت الإنسان في مراحله الإنسانيَّة الأولى قوى الكون "الآلهة" التي تُكِنُّ له الخير، وكثيراً ما اقتحم الصراع إلى جانبها، وأنزل ملوكه منازل الآلهة وأولدهم من صلب إله يحلّ بالسماء بعد الاعتراف بأن أمه من الأرض، ولم يكن عالمه خالياً الخلو كله من لفظة إله المستخدمة بصيغة المفرد إشارة إلى وحدانيته في إدارة الكون، ولكن دون التدليل على أي من الآلهة هو المقصود بهذه الصيغة، وذلك ما نجده مبثوثاً في نتاجاتهم الأدبية بكثرة.

شعر الإنسان القديم بالضعف أمام إرادة الآلهة، وزال اعتماده على نفسه ضمن الإطار العام لحركة الكون، وبدا عاجزاً عن الخوض في الحياة وتحقيق الانتصار فيها إلاّ إذا أطاع

---

* باحث وأستاذ عراقي مقيم في ليبيا.

[1] ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة زكي نجيب ومحمَّد بدران (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. ط، ت) ٨٢/٩.

ما تقرره الآلهة، وقديماً قال أحيقار الحكيم: "ليس بمقدور البشر أن يرفعوا أقدامهم أو أن يضعوها بدون الآلهة"[٢]، ومن هذا الإحساس وضعت الفلسفة الوجودية مبادئها لاحقاً.

ووقف الإنسان في مراحله الإنسانيَّة الأولى والمعتمد في كلّ شيء على الطقس وتقلبات الفصول وسط تجربة الطبيعة قلقاً ليرى ضعفه المتأتي من حدّة الصراع القائم في الكون، وأدرك أنّ قوى رهيبة تتلاعب به، وأوجد ذلك الإدراك عنده حالة ذهنية جاء التعبير عنها مباشرة في فكر الوجود والكون الذي بدا في ذهنه غير منظم تعمه الفوضى، غير أنّ الوجود لم يكن أميناً يُطمئن إليه، وشعر أنَّه في الطبيعة يجابه قوى جبارة لا تتبع إلاّ هواها، تتمثل بما في ثنايا الكون من فيض الإرادات الفردية للآلهة المتنازعة، ليس له من حول معها إلاّ في مناصرة آلهة الخير ضد آلهة الشرّ، ويكون بذلك قد حاول أن يجد تفسيرات للظواهر الطبيعية، وأن يضع حلولاً جزئية لمشكلة الوجود مدفوعاً بحبّ الكشف والرغبة في الاستطلاع.

وتباين توخي المرح وعشق اللذة بين الأمم القديمة، فمنا من كان يتمتع بالحياة حتى أقصى حدود المتعة، ولا يتنازل عن شيء من عطائها، وهم لهذا السبب أنكروا حقيقة الموت، ونقلوا حياة اللذة والنشاط التي أنعموا بها قبل الموت إلى ما بعده. ومنهم من زهد بالدنيا، وآمن بالموت، وتفا ضلت آراؤه فيما سيلقاه بعد الممات.

وفي مجال دراسة فكر الإنسانية الموروث، وممارسات المجتمعات الأولى تشد الدارسين رغبة الاطلاع على طقوس هذه المجتمعات ومناسكها وأساطيرها، إذ أنّ معرفة أشكال هذه الفعاليات التي عاش كثير منها بعد إندثار المعتقد الذي أنشأها تعطي صوراً ملموسة وتجسيداً مادياً لرؤية الإنسان التأملية، وقدرته الشاعريَّة، وبراعته في تخيل أشكال الصراع الدائر بينه وبين قوى الطبيعة، وكانت تلك الأفكار من أعمق منجزات الروح الإنسانية المليئة بالتأمل العميق، وكانت الخلق الملهم لعقول شاعرية خيالية سليمة لم يفسدها تيار العقل التحليلي والفحص الدقيق الذي لا روح فيه[٣]، وسنجد لهذه الأفكار أمثلة في الموروث الشعري الهندي.

---

٢ المطران غريغوريوس بولس بهنام، **أحيقار الحكيم** (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٧٦) ص١٠٤.

٣ لمزيد من التفاصيل ينظر بحث د. كاظم حمد المحراث الموسوم بـ "الشعر والفكر الغيبي في الموروث الإنساني"، **مجلّة المعرفة**، دمشق، العدد ٤٢٧، ١٩٩٩.

للفكر الديني المتعلق بالخلق والوجود وإدارة الكون تاريخ طويل في الفلسفة الهندية، تختلط فيه مكونات عادات الهند الأصليين وتقاليدهم بالتراث الثقافي الوافد الذي حملته الشعوب الآرية من آسيا الوسطى إلى وادي السند نحو عام ٢٠٠٠ -١٥٠٠ ق. م، وتشكلت بتلاقحه ثقافة الهند، وأنجبت في وقت مبكر مجموعة من الكتابات عرفت باسم (اليوبانيشاد)[٤]، تحمل مضامين تأملية ميتافيزيقية تمثل جذور التأمل الفلسفي الذي قاد إلى أسئلته حول (كيف) و (لماذا) المتعلقة بالأحداث التي تقع حول الإنسان في الطبيعة، فكان من نتيجتها التعلق البدائي بالآلهة، وبالتالي نشوء الفكر الديني.

بيد أنَّ ذلك التعلق لم يشبع نهم الإنسان الهندي القديم، ولم يسد حاجته إلى معرفة أصل العلل والحوادث المتعلقة به وبالطبيعة من حوله، لذلك راح يطوّر استفساراته المعرفية بسرعة، بحيث ارتقت إلى بحث القانون الشامل لسبب الحدث ونتيجته.

وفي ظل المرحلة الأولية لهذا النشوء الفكري نما الأدب الشعبي شعراً وقصصاً وملاحم، تمثل بـــ "المهابهاراتا - Mahabharata[٥]، والرامايانا - Ramayana[٦]، وتشكّلت فيها المضامين الملحمية للكتابات الفيدية - Vedas[٧]، التي تمثّل بمجملها

---

٤ اليوبانيشاد: ألّفها مجموعة من القديسين، وهي مؤلفة من مقطعين: "يوبا" وتعني بالقرب، و"شاد" وتعني اجلس"، ويكون معناها: اجلس بقرب المعلم، ثُمَّ أصبحت تُطلق على التعاليم الغامضة التي يُسرِّها المعلّم إلى أفضل تلامذته، وتتألف من ١٠٨ محاورة مما جرى بين المعلّم وتلاميذه، وقد اعتمدنا على معجم المصطلحات الذي وضعه مترجم كتاب "المعتقدات الدينية لدى الشعوب: د. إمام عبد الفتاح، في تفسير المصطلحات الواردة في البحث.

٥ ملحمة الهند العظيمةـــ تشبه ملحمة جلجامش عند السومريين، وإلياذة هوميروس عند اليونان، وتروي قصة صراع فرعين من الأسرة المالكة حول مقتل زوجة.

٦ تعني حرفياً قصة راما، وهي قصيدة أسطورية طويلة تجسّد بطولات الإله "فشنو - Vishnu" في سبيل الوصول إلى عرشه المسلوب، وتحكي أعمال الملك راما ملك أيوذا - Ayodahya، مع ملاحق عن أساطير الخلق، وقوائم بالملوك وحكايات خارقة، ومذاهب فلسفية.

٧ الفيدا: كتب الهندوسية المقدسة، كُتبت بالسنسكريتية، تضم أربعة أسفار: ١ - الريج فيدا: وهي أنشودة لتمجيد الآلهة. ٢ - السمافيدا: وتضم ترانيم لتقديس القرابين. ٣ - اليابور فيدا: وتضم إضافات مرتبة حسب القرابين. ٤ - أثرا فيدا: وهي سفر الفقراء.

بواكير ظهور المذاهب الفلسفية الكبرى في الهند، وهي مذاهب تركزت حول مشكلة نشأة الكون، وكانت معظم ترانيم الفيدا تدور حول الثناء على الآلهة.

التفت الفكر الهندي منذ زمن مبكر إلى البحث في أصل الوجود، وخاض روّاده في مسألة مصدر الوجود وأوليته، واحتدم الجدل بينهم حول الأصل، إذ عزا بعضهم أصل الوجود إلى وجود سابق، وهو أمر دفع حكماء آخرين إلى السؤال ثانية عن الأصول، فزعمت فئة أخرى أنّ الوجود نبع من العدم، وتساءل آخرون: كيف يمكن خلق شيء من لا شيء؟ وفي النصّ الشعري الآتي تساؤل عن الشيء الذي كان قبل الوجود، وقبل العدم:

في البدء لم يكن هناك وجود ولا عدم
لا وجود للعالم ولا للسماء فيما وراءه
ما الذي أسدل عليه الستار؟ أين؟
من الذي منحه الحماية؟
أكان هناك واد عميق لا يُسبر له غور؟[٨]

وفي ظلّ حيرة ذهنية ذهب الحكيم الهندي يجيل العقل في كثير من ثنائيات الوجود: العدم والوجود ، والموت والخلود، والليل والنهار:

آنذاك لم يكن هناك موت ولا خلود
وما من أثر لليل أو نهار
ولم يكن هناك سوى الواحد الذي يتنفس
دونما تنفس بدافع من ذاته
وعدا ذلك لم يكن ثَمَّة شيء على الإطلاق[٩]

والظلمة والنور:

كان هناك ظلام، يلتف بالظلام
وكل هذا كان طاقة لا تمايز فيها
ذلك الواحد الذي حجبه الخواء

---

٨ جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين (الكويت: مطابع السياسة، ١٩٩٥) ص٤٩.

٩ نفسه، ص٥٠.

كشف النقاب عنه من خلال قوة الحرارة - الطاقة[١٠]

لكنه لم يكتشف أصل واحدة منها كي يبرهن على بقية الأصول، فمضى إلى بعض ما في الوجود من عناصر معنوية، كالخير والحبّ والعقل...

في البدء كان الحبّ
الذي كان البذرة الأولى للعقل
وفي سعي الحكماء الحكمة في أفئدتهم
اكتشفوا الصلة بين الوجود والعدم[١١]

لكنه - على الرغم من هذه المجهودات العقلية - عاد خائباً، مذعناً لفكرة أنّه لا يستطيع الوصول إلى سرّ الكينونة الأولى، وأنه يتعين على الموجودات البشرية كلها أن تكابد وتطيل البحث في سبيل الوصول إلى مكمن هذا السرّ، ونحن هنا بإزاء دعوة إلى التجدّد الذهني الذي لا يجعل للفلسفة حدوداً:

من الذي عرف حقّاً؟
من الذي مكّنه أن يقول هنا؟
متى وُلد هذا الخلق؟
ومن أين جاء؟
لقد جاءت الآلهة بعد خلق هذا العالم
فمن الذي يعرف من أَيْنَ جاء؟
.....
ذلك الذي من رحابه جاء الحقّ
سواء كان يضمّه معاً أم لا
هو الذي يراه في السَّماء العُلا
هو وحده الذي يعرف أو ربما حتى لا يعرف![١٢]

---

١٠ نفسه، ص٥٠.

١١ نفسه، ص٥٠.

١٢ نفسه، ص٥٠.

إنَّ فشل الحكمة الهندية في الوصول إلى سرِّ الكينونة والوجود الأول وخيبتهم يعيد إلى أذهان دارسي فلسفة الشرق فشل الإنسان في العصور الغابرة وخيبته في الوصول إلى سرِّ السرمدية والبقاء الأزلي "الخلود" الذي حملته معه ملحمة جلجامش السومرية ذائعة الصيت:

والكلُّ يجيبه بأن بحثه لا أمل يُرجى منه:
جلجامش، أين رحت تجول؟
إنَّ الحياة التي تبحث عنها لن تجدها أبداً
لأنَّ الآلهة عندما خلقت الإنسان، جعلت
الموت نصيبه، وأمسكت
بأيدها عنه الحياة
جلجامش املأ بطنك
امرح ليل نهار
واملأ أيامك بالأفراح
وارقص واعزف الألحان ليل نهار
والبس القشيب من الثياب
واغسل رأسك واستحم
وانظر إلى الطفل الممسك بيدك
ودعْ زوجتك تسعد بلقائك
هذا وحده ما يبتغيه الإنسان[١٣]

وبعد إعمال الفكر استقرت هواجس حكماء الهند، ورست إلى البحث عن سرِّ المنشأ، حتى كاد الاتفاق يكون مطلقاً بينهم على أنَّه لا بُدَّ من وجود طريقة أو قوة أو شيء يضفي العظمة ويخلف الأشياء الطبيعية، أسموه "براهمان - Brahman[١٤]"، ثُمَّ توسعوا في وصف هذا الخالق، فوضعوا له شتَّى صفات الوحدانية والهيمنة

---

١٣ عبد الحكيم ذنون، **كلكامش: الإنسان والخلود** (بيروت: المنارة، ١٩٩٦) ص١٥١.

١٤ براهمان: الاسم الذي أعطته اليوبانيشاد للموجود الأسمى، وهو محايد من حيث الجنس، وقد تجسّد في الإله الخالق براهما المذكّر، ووضع في مثلث مقدّس وهو: براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وشيفا المدمِّر.

والغموض:"لا سبيل إلى رؤيته، أو الإحاطة به، لا نسل له، ولا لون، لا أعين له ولا أذن، ولا يد له ولا أقدام، يتخلل كل شيء، وهو كلّي الوجود، إنَّه الواحد الذي لا يتغير، الذي ينظر إليه الحكماء بوصفه مصدر الموجودات".[١٥]

ولو شئنا التوسع في البحث عن الرؤية الفلسفية الهندية القديمة والشاملة لموضوع الوجود وخلقه وإدارة الكون الواردة في الفصول الأخيرة من "الفيدا" دون سواها من نتاجات الفكر والثقافة والأدب الهندي القديم، فسنجد أنفسنا بإزاء معاينة بحثية تشمل قلق حكماء الهنود واستفساراتهم عن ماهية الإنسان، ومفصل واجبات أعضاء جسمه وتكوينه الفيزيولوجي، ونمط تفكيره، وتكوين معارفه ونشاطاته... وسنجد أنفسنا بالتالي أمام ثروة معلومات فلسفية لا حصر لها، ولا يسعها بحث محدَّد الأهداف.

ولكن، وعلى الرغم من ذلك كله، فإن تأملات الفلاسفة المحدثين ونظراتهم في الفلسفة والأدب الهنديين وجدت في نصوص (الريج فيدا - Rig Vida)[١٦] إرهاصات متقدمة تمهِّد لمعرفة الواحد الحقّ الذي يقال أنَّه يتسمّى بأسماء مختلفة، لكنه هو نفسه - وبصرف النظر عن تسميته - الذي يشرف على الكون ولا يُعرف إلاَّ ببصيرة القديسين الذين كانوا يردِّدون:

في البدء لم يكن ما هو موجود
أو ما لم يوجد
ولم يكن هناك ما تثبته أو ما تنفيه
لم يكن ثَمَّة ليل ولا نهار
ولم يكن سوى الأوحد
لا أجواء ولا سماء وراء الأجواء
لم يكن ثَمَّة موت ولم يكن خلود
يتنفس حيث لا أنفاس

---

١٥ **قصة الحضارة**، مصدر سابق، ٣/٣٣.

١٦ الريج - فيدا: سنسكريتية معناها الفيدا النارية، أو المنسوبة إلى النار، وهي قسمان: أدعية وصلوات ثُمَّ تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية.

ولا شيء سواه[١٧]

بيد أنَّ كريشنا - Kirishna)[١٨] يقدِّم نفسه في فصول العمل الشعري الهندي المعروف بـــ "أنشودة الرَّب" على أنَّه القوة، والحاكم، والوحدة الكامنة للكون كله، وبصفته ربّ الكون الأعلى الماثل في الأشياء كلها:

كلُّ الأشياء تنشأ من طبيعتي
ألا تعرف ذلك عنها جميعها
وعن العالم بأسره
أنّي الأصل والفناء
ما من شيء أسمى مني على قيد الوجود
يا أرجونا،
حوْلي نُظِمَ هذا الكون بأسره
مثلما تنتظم اللآلئ في العقد[١٩]

ويعكس لنا الموروث الهندي محاولات شتَّى تهدف إلى فكّ لغز الارتباط القائم بين صيرورة الوجود، وبين الفناء والموت، وبالتالي استحالة الخلود، ويأتي الاعتقاد بتناسخ الأرواح بين هذا وذاك منها. وفي الحوارية الأدبية الآتية نعثر على ما يظنُّه الباحثون أعمق ما ورد في تاريخ الفلسفة من ضروب التفكير، وهي حوارية تدور بين الرجل (ياجنافالكيا - Yachnavalkia)، وبين زوجته (ميتربي - Metrby)، و (كاتيايايني - Katyayani) الواقفتين لوداعه قبل بدء واحدة من رحلات الفكر:

يا جنافالكيا: اصغيا إليّ
أنتِ وكاتيايايني أقُلْ لكما قولاً أخيراً

---

١٧ جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح (الكويت: مطابع السياسة، د. ط، ١٩٩٣) الهامش رقم ١، ص١٥٢.

١٨ كرشنا: واحد من أكثر آلهة الهند توقيراً وشعبية، عبده الهندوس على أنَّه تجسيد للإله "فشنو"، وجذب عدداً من الفرق التي نظَّمت له الأشعار والأغاني والقصص الكلاسيكية.

١٩ **الفكر الشرقي القديم**، مرجع سابق، ص١٥٥.

ميتربي: إذا مَلأت لي هذه الأرض كلها الآن يا مولاي بالغنى
أأكون بهذا من الخالدين؟
يا جنافالكيا: كلا، كلا!
يستحيل أن يكون الثراء طريق الخلود
ميتربي: فماذا عساي أن أصنع بما لا يخلدني[٢٠]

إنَّ معاينة زمن هذه الحوارية يدلنا على أنَّ فكرة الخلود قد تمَّ تكوينها في الفكر الهندي في زمن لاحق للزمن الذي تبلورت فيه نظرة الحكماء الهنود إلى الوجود والآلهة والخليقة. وتشيع (الجيتا جوفندا - Gita Govinda)[٢١] المنظومة في حوالي ٤٠٠ ق. م فكرة ميتافيزيقية جديدة تتمثل في خلود وفناء الجسد:

اعلم أنَّ الحياة لا تفنى
فتظلُّ تبثُّ حياةً في الكون كلِّه
يستحيل على الحياة في أيّ مكان، وبأي وسيلة
أن يصيبها نقصٌ بأيّ وجه من الوجوه
ولا أن يصيبها جمود أو تغيير
أمَّا هذه الهياكل الجسدية العابرة التي تبثُّ فيها الحياة
روحاً لا تموت وتنتهي ولا تحدُّها الحدود
ففانية، ...
إنَّ من يقول: انظر لقد قتلتُ إنساناً!
وإنَّ من يظنّ لنفسه: ها أنذا قتلتُ
فلا واحد من هذين يعلم شيئاً
إنَّ الحياة لا تَقتل
وإنَّ الحياة لا تُقتل، إنَّ الروح لم تولد قطُّ، ولن تفنى
إنَّ الزمان لم يشهد لحظة خلت من الروح

---

٢٠ **قصة الحضارة**، مرجع سابق، ٣/٤٤.

٢١ الجيتا جوفندا: القصيدة التي غنَّى فيها قطيع البقر، وتروي قصة كرشنا وحبيبته راذا.

إنّ النهاية والبداية أحلامٌ
إنّ الروح باقيةٌ إلى الأبد بغير مولد
وبغير موت، ولا تغيُّر
إنّ الموت لم يمسسها قطُّ
وإن خُيِّل لنا إنّ وعاءها الجسد قد مات[٢٢]

وبسبب ما عرف عن أمة الهند من تعدد الديانات والمعتقدات، فقد ازدحم الموروث الفكري الهندي المرافق للنتاجات الملحمية الشعرية بفيض من الأفكار، صار صعباً على الدارس معها الوقوف على خصوصياتها. والتحليل الذي بين أيدينا يكشف عن تنازع الأفكار واضطرابها وتداخلها، إذ تتباعد أحياناً حتى لتبدو متضادة، وتتماثل حيناً حتى لتبدو واحدة. وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت أغلب ملاحم الهنود الشعرية قريبة إلى التخصص في تناول موضوع شعري محدَّد بفضل الاعتماد على رافده الأساسي المتمثل - غالباً - في أفكار العالم الغيبي وتخيلات مما وراء الطبيعة، بحيث يمكن القول أنّه مهما تعددت الديانات، وتشعبت المعتقدات، وازدحمت نشاطات الإنتاج الفكري والإبداع الفني، وصبت في قوالب الملاحم الشعرية، وتباعد زمنها موغلاً في الماضي، فلا بُدَّ من أن تتعانق نظرات التنوير الأولى عند (بوذا - Boddha ٥٦٣ - ٤٨٣ ق. م)[٢٣]، الذي لقيت أفكاره أوسع انتشار، والقائلة بأن الموت أصل الديانات كلها، ويجوز أنّه لو لم يكن هناك موت لما كان للآلهة وجود، فالفيدا وضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة:

وأجرى الأقمار السبعة الصافية الكبار
واقتحم كهوف الكآبة والأكدار
وأخرج البقرات الجميلة من الأرحام

---

٢٢ **قصة الحضارة**، مرجع سابق، ٣/٣٠٠-٣٠١.

٢٣ بوذا: مؤسس البوذية، واسمه الحقيقي "سد هارتا جوتاما" وتعني المستنير أو المتنور، وهو ابن أحد حكام مقاطعة ساكاس، بدأت نقطة التحول في حياته عندما بلغ ٢٩ عاماً، عندما أدرك أنّ الإنسان يعاني المرض والشيخوخة والموت، فأقلع عن حياة الإمارة وتحوَّل إلى ناسك متجول، حتى جاءه الإلهام تحت شجرة البو.

ذلك هو اندرا البطل الجسور[٢٤]

واختلفت الآراء حول موضوع الموت، وتباين الإلهام الغيبي الذي رفد النصّ الملحمي الهندي في النظر إلى الأبدية والخلود، فالفكر الذي تشيعه المهابهاراتا يؤمن بعودة المؤمن حيّاً:

ولكن سوكراجاريا كان يجيد عملية - سن جيوني - التي تعيد الميت حيّاً
وعلى هذا فطالما رجحت كفة أسوارا بسبب إعادة الحياة لمن
يموت منهم في الحرب
وكان هذا يرجح كفته على الآلهة[٢٥]

والفلسفة التي تغذي (اليوجاواسستها - Yoga Wasesteha)[٢٦] تزدري الحياة، وتؤمن بالموت، ولكنها لم توفق في الاهتداء إلى ما بعد ذلك:

ما الفائدة من الحياة التي لا مناص فيها من الشيخوخة والموت؟
لا مفرّ لإنسان من الشيخوخة
إنّها تصرع حتى الأبطال الذين لا يعرفون الهزيمة قطّ في ساحة الحرب
وتلحق حتى الذين يختفون خوفاً منها في الكهوف
وما قيمة الجسد، والأفراح، والثروة، والجاه، والمُلك
إن كان ذلك محتماً علينا أن نموت عاجلاً أو آجلاً
وأن يقضي الموت على كلّ شيء؟[٢٧]

ومما في الكيتا مناقضٌ تمام التناقض لما نادى به بوذا الذي زعم : أنّ اللانهائي أسطورة وخرافة من خرافات الفلاسفة"، وهي تستمد مادتها من الفلسفة القائلة بلا نهائية العالم وخلود الأرواح:

---

٢٤ أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ط، ١٩٦٦) ص٤١.

٢٥ المرجع السابق، ص٧٩.

٢٦ اليوجا واسستها: منظوم هندي يحتوي على أربعة وستين ألفاً من الأبيات، مال البعض إلى القول باكتمال نظمه في القرن السادس الميلادي، وموضوعه الفلسفة واللاهوت.

٢٧ **أديان الهند الكبرى**، مرجع سابق، ص٩١.

إنَّ الروح لا يَقتل ولا يُقتل
إنَّه ليس بأمر حادث
بل قديم أزلي أبدي، لا يتغير ولا يتبدل
ولا يموت بموت الجسد
فالذي يرى الروح خالداً يعلم كذلك أنَّه لا يقتل أحداً
ولا يقتله أحد
وكما يبدّل الإنسان لباسه، كذلك الروح يغير قشرته
فينتقل من جسد إلى جسد[٢٨]

في الأدب الهندي يختلط كلُّ شيء بكلّ شيء، تمتزج العقائد والشعائر والطقوس والأخلاق بالأعراف والأساطير والشعر، وفيما شئت الاطلاع عليه من ملاحم الهنود أو مختصراتها تتكدس القصص وأناشيد الفروسية والدين، وتجارب التصوف والأساطير والأدب والفلسفة. ويبقى استخلاص أيّ منحى من تلك المناحي مستلزماً التنقيبَ في تراث واسع لفهم طبيعة التشابك الحاصل بين فروع نشاط الإبداع الهندي، ومن بينها ما كان بين الشعر والفكر والغيبي.

---

٢٨ نفسه، ص٨٤.